المنهج الدعوي للحركة السنوسية في ليبيا، الإمام محمد بن علي السنوسي "أنموذجا"

أ. مروة مخزوم يحيى/ الجامعة الأسمرية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن من فطرة الله – تعالى- أنه يبعث للأمة مِن مدة لأخرى مَن يجدد لها دينها، وذلك لقوله- صلى الله عليه وسلم-: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"(1)، فكان من هؤلاء الدعاة المجددين الإمام الداعية: محمد بن علي السنوسي، الذي درس واقع الأمة، وأعد العدة، فتبحر في علوم عِدة، وانطلق لنشر الدعوة، فكان عالي الهمة، مخلص النية في نشر الدعوة الإسلامية، فأحبه الخواص والعوام، بحيث انتشرت دعوته بين المشرق والمغرب، وقد وجدت حضنها الدافئ في ليبيا الحبيبة، فتغلغلت في المجتمع الليبي، وجمعته على العقيدة السليمة، وسارت به على طريق الإحسان، فحافظت على الهوية الدينية في ليبيا، المتمثلة في الأشعرية عقيدة، والمالكية فقها، والتصوف منهاجا وسلوكا، فكانت خير مثال للحركات التجديدية التي غيرت واقع المسلمين بفضل مؤسسها؛ لذا سنكشف اللثام عنها؛ للإفادة منها، وسنبين دور التصوف في نجاحها.

المطلب الأول: "نشأة الحركة السنوسية":

أولا: الأوضاع المختلفة في ليبيا قبل ظهور الحركة: استطاع العهد العثماني بسط سيطرته على ليبيا بعد الهجوم الصليبي عليها، وكان ذلك سنة: 1551ه(2)، وقد مثلت عهود العهد العثماني الأول مرحلة نموها وازدهارها في ليبيا؛ بحيث استطاع العثمانيون الأوائل بسبب قوتهم العسكرية صد الهجوم الصليبي العنيف ضد ليبيا، فكان اهتمامهم بالجانب العسكري أكثر من المدني؛ إذ لم تهتم السلطات بالإصلاحات الداخلية كثيرا، وهو ما أدى إلى تدهور أحوال البلاد، وظهور الفتن والفوضى خاصة أواخر القرن: (16) وأوائل القرن:

(1) أخرجه أبو داود في سننه: (ك: الملاحم، ب: ما يذكر في القرن المائة: 178/4، الحديث: 4193)، وصححه الحاكم في المستدرك: (ك: الملاحم، 567/4، الحديث: 8592).

(2) ينظر: رابحة خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني: 1555م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م: 6، ع: 2، المؤتمر السنوي الأول لكلية التربية الأساسية: 2007م، كلية الآداب، جامعة الموصل: 120.

(17)، الأمر الذي أدى إلى ضعف الدولة العثمانية[1].

وبسبب هذه الفوضى استطاع أحمد القره مانلي الاستيلاء على الحكم في ليبيا سنة: 1711هـ[2]، وقد اهتم الحكم القره مانلي بالمحافظة على الوحدة الليبية بدمج أقاليم برقة وطرابلس وفزان، وهو ما أكسب ليبيا في عهده دولة قوية مستقلة عن الدولة العثمانية، ولكنها لم تستقر طويلا، وذلك بعد أن هاجمت بعض الأساطيل الغربية المدن الليبية بحجة مكافحة القرصنة، بالإضافة إلى تأجج الصراع الأسري على السلطة، وقد أدى إلى نشوب الحروب الأهلية، وبعد أن شعر العثمانيون بانهيار الدولة القره مانلية في ليبيا، وأن الدول الاستعمارية بدأت تمد أطماعها عليها، استطاعوا العودة إلى الحكم مرة أخرى[3]، وبالرغم من الدور التي كانت تقوم به السلطات العثمانية في التصدي للخطر الصليبي، فإن بعض الثغرات التي تعاني منها السلطات العثمانية أدت إلى ظهور الثورات المحلية؛ لذلك تدهورت الأوضاع في تلك المدة، فأدى هذا إلى حدوث شرخ اجتماعي بين قبائل المجتمع الليبي[4]، وفي خضم هذه الأحداث المتسارعة ظهرت الحركة السنوسية في ليبيا[5].

ثانيا: سيرة الإمام السنوسي: هو الإمام محمد بن علي السنوسي، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن طريق الأدارسة الحسينيين الذين حكموا المغرب، لقب بالسنوسي نسبة إلى قبيلة من البربر تسمى سنوسة، ولد بضاحية ميثا، بمستغانم بالجزائر يوم الاثنين: 12 ربيع الأول، عام: 1202هـ، نشأ الإمام في أسرة علم، فكان أبوه من أهل العلم، وقد توفي أبوه وهو لم يتجاوز السنتين، فكفلته عمته، وقد عرفت بتبحرها في العلوم، فحرصت على تعليمه منذ صغره، وخاصة علم العقائد، حفظ القرآن الكريم مبكرا، وهو لم يتجاوز السابعة، وبذلك تكون عمته فاطمة هي أستاذه الأول، ثم توفيت وهو في العاشرة من عمره، فكفله ابن عم له يسمى الشارف، وكان أيضا من أهل العلم، فدرس عليه

(1) ينظر: عبد الرحمن الدرسي: الانتفاضات الوطنية ضد الوجود العثماني في ليبيا، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة قاريونس، د ت، 4.
(2) ينظر: إسماعيل ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط/1: 1997م: 144، 145.
(3) ينظر: شوقي الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د ط، د ت: 148.
(4) ينظر: محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، د ط: 60.
(5) ينظر: دلا رداوي: الحركة السنوسية، ودورها في محاربة الاحتلال الإيطالي في ليبيا: 1911 - 1932م، رسالة ماجستير في تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة محمد بو مضياف، الجزائر: 2016م: 5 - 11.

التصوف والفقه والحديث، ثم أخذ العلم عن كبار علماء مستغانم ومازونة، ومنهم الشيخ: محي الدين بن شهلة، والشيخ: عبد القادر بن عمور، والشيخ: محمد بن عبد القادر، والشيخ: محمد بن القندور، وإلى جانب تعلمه كان مهتما بالفروسية منذ صغره، وهذا ما أكسبه الشجاعة منذ صغره، فانعكس ذلك على شخصيته، فكان مجاهدا شجاعا في كبره(1).

ثم توفي السيد الشارف والإمام في سن الثامنة عشرة، بعدها عزم على السفر لطلب العلم، وكان ذلك عام: 1220هـ؛ فانتقل إلى فأس للدراسة في جامع القرويين، واستمر مدة في فأس، وكانت حينها موطن العلماء، وملتقى الطلاب؛ فأخذ العلم عن كبار علمائها، ومنهم: محمد الفيلالي، وأبو بكر الإدريسي، وحمودة وحمدون بن الحاج، والكيراني والمعواني، وابن منصور، والدرقاوي، والتيجاني وغيرهم(2).

وفي هذه المرحلة تبلورت شخصيته الفكرية الإصلاحية؛ فبرز في شخصيته جانبان، هما: الجانب الصوفي التربوي الذي ازداد تعرفا عليه في فأس، بحيث كانت ميدانا خصبا للتصوف، وقد نشأ السنوسي في بيئة صوفية في موطنه الأول مستغانم؛ فتناسب التصوف مع طبيعة شخصيته التي امتازت بالعمق الفكري، وقيل: إنه التقى بالشيخ التيجاني وأخذ عنه الطريقة. أما الجانب الثاني: فهو اهتمامه بالدراسة الفقهية، فقد كان على المذهب المالكي؛ فأخذ فقه المالكية عن كبار شيوخ المالكية من المشارقة والمغاربة؛ منهم: محمد المعداني، ومحمد الناصري، وهذا ما أكسبه التوازن بينهما، فتميز فقهه بطابع الصوفية؛ وهو ما جعله متميزا عن غيره، بعيدا عن الغلو في الظاهر والجمود(3).

وبعد أن أعد نفسه بالعلم والتعلم، وأخذ الإجازة من شيوخه، عَمِل في الدعوة والتعليم، فعُيِّن مدرسا بالجامع الكبير بفأس، واجتهد في نشر الدعوة والعلم بين الناس؛ لذلك اكتسب شهرة بين التلاميذ وعامة الناس، حتى شعرت السلطة بخطورة وجوده خوفا منهم بأن يدخل ميدان السلطة؛ وقد دفعه ذلك إلى أن يغادر فأس سنة: 1235هـ، وأخذ يتنقل بين مناطق وقرى الجزائر، يُعلِّم ويقوم بالتدريس، ثم عاد إلى مستغانم، فتزوج من إحدى بنات عمومته، ولم يبق ذلك الزواج طويلا؛ لأنه عزم على الارتحال إلى مكة، وقد رفضت ذلك زوجته، وقبل أن ينتقل إلى مكة سافر إلى القسطنطنية وقام ببناء زاوية

(1) ينظر: محمد شكري: السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، د ط: 1948م: 14، 15.

(2) ينظر: أحمد الدجاني: الحركة السنوسية: نشأتها، ونموها في القرن التاسع عشر، دار لبنان، بيروت، ط/1، 1967م: 39 - 48.

(3) ينظر: المرجع نفسه: 48 - 51.

يلقي فيها الخطب والدروس، ثم عزم على الانتقال إلى مكة، وفي رحلته بها مر بتونس وطرابلس[1]، وقد ذكر أحمد الشارف أنه مر ببلدة زليتن، وبها التقى مع أحد مريديه، وهو عمران بن بركة، وهذا دليل على أن زليتن كانت مقصد العلماء والصالحين منذ القدم، ثم مرَّ ببنغازي والجبل الأخضر، حتى وصل إلى القاهرة عام: 1239هـ[2].

وفي رحلته التي استمرت حوالي أربع سنوات، انطلاقاً من فأس، عايش فيها أحوال المسلمين، كما ازداد قربا ومعرفة بالطرق الصوفية في المناطق التي زارها، بوصفها موطنا لأهل التصوف، وهذا ما أشبع شخصيته بالمنهج الصوفي الذي سنبرز كيف استفاد منه في نشر دعوته لاحقا، واستفاد السنوسي من بقائه في كل منطقة يقطنها، فأخذ من علماء الأزهر في تلك المدة، منهم: العطار، والقويسي، والصاوي، والتونسي، ثم درس في الأزهر، ويلاحظ أن السنوسي كان مهتما بالجانب الصوفي، هذا ما جعله لا يبقى طويلا في القاهرة.

انتقل بعدها إلى الحجاز، وكان ذلك عام: 1240هـ فنزل بمكة، وكان مهتما بتتبع العلماء، الذين برزوا في مكة؛ ليأخذ من علمهم، وما يميز مكة آنذاك أنها كانت تجمع بين كثير من التيارات الفكرية المختلفة، ففيهم الصوفي، وفيهم المالكي، وفيهم الوهابي، وغيرهم[3]، الأمر الذي أتاح للإمام التعمق في أفكار تلك التيارات والمذاهب، وقد أخذ عن جمع كبير من العلماء، منهم: أبو سليمان العجيمي، وأبو حفص العطار، وأحمد ابن إدريس، وقد تأثر بالأخير تأثرا كبيرا، سنبرزه لاحقا، ثم عزم بعدها على نشر دعوته في مكة، وذلك بإقامة أول زاوية له في الحجاز، وهي زاوية أبي قبيس، التي استطاع من خلالها نشر دعوته، فالتف حوله الطلاب وعامة الناس، وظل مدة يلقي الدروس والخطب فيها، إلى أن عزم على ترك الحجاز، قاصدا المغرب[4].

بعد ذلك غادر الإمام الحجاز إلى مصر، ومنها إلى ليبيا، ثم إلى تونس، قاصدا الجزائر، ولكن الاستعمار الفرنسي حال بينه وبين الوصول إلى بلاده، فعاد إلى طرابلس، ومنها إلى برقة، لنشر دعوته، وبعد أن تمكن من تثبيت دعائم دعوته في برقة، وترك خلفه دعاة مخلصين ممن تتلمذوا على يديه لإكمال مسيرته عاد إلى الحجاز، ليكمل مسيرته الدعوية، فظل

(1) ينظر: محمد شكري: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق: 14- 16.
(2) ينظر: أحمد الدجاني: الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 59.
(3) ينظر: أحمد الدجاني: الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، 67.
(4) ينظر: المرجع نفسه، 71.

مدة فيها يلتقي بوفود الحجاج فيتعرف عليهم، ويدعوهم إلى تطبيق الإسلام الصحيح؛ حتى تمكن من تأسيس عدة زوايا في جدة والطائف والمدينة المنورة وغيرها، ثم عاد من مكة إلى برقة بعدما اصطدم فكره مع غيره ممن عاصروه في مكة.

وقد مر بمصر، ومكث مدة فيها ينشر دعوته، قبل أن يستقر في الجبل الأخضر، ثم انتقل إلى الجغبوب، وفي المدة التي عاش فيها الإمام تزوج أربع زوجات، وقد عاش له من الأبناء: محمد المهدي ومحمد الشريف، وبعد أن استقر به الحال في الجغبوب، استمر الإمام حاملا هم الدعوة حتى في أيامه الأخيرة، فبعث لإحضار أولاده إلى الجغبوب؛ لإكمال مسيرته الدعوية، وبعد أن وصلا إلى ليبيا من سفر طويل، سلم لهما رسالة الدعوة؛ ليكملا مسيرة والدهما في التوجيه والإرشاد والإصلاح، بعد ذلك اشتد عليه المرض إلى أن وفاه الأجل المحتوم، فانتقلت روحه الطاهرة راضية مرضية إلى المولى -عز وجل-، وكان ذلك يوم الأربعاء سنة: 1273هـ[1].

ثالثا: أسباب اختياره برقة والجغبوب مركزا لدعوته: كان سكان برقة يعيشون في تنظيم قبلي، اتضحت صورته منذ الفتح، ومنذ الفتح الإسلامي حتى العصر الحديث كان الحكم في برقة يأخذ حكم القبيلة في تقسيم البلاد إلى وحدات إدارية؛ بحيث تكون القبيلة أساسا لتطبيق النظام ومساعدة الحكم، وقد كانت القبائل في برقة تعيش حياة غير مستقرة؛ فتوافرت في برقة الظروف الملائمة لظهور الحركة المتمثلة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، فكانت برقة منفصلة عن الأقطار المجاورة، كما أن برقة تتكون من قبائل عربية بدوية، يغلب عليها طابع الترابط، تجمعهم الأعراف والتقاليد؛ وكذلك فإن الجو كان خصبا من حيث إن المناطق الريفية كانت بعيدة عن سيطرة المدن فلا يمارس الحكام العثمانيون إلا سيطرة ضعيفة على المناطق الداخلية؛ وهو ما يخلق جوا مناسبا لانتشار الحركة بسهولة؛ وكذلك طبيعة التكوين القبلي ساعد على وجود بنية اقتصادية رصينة، فكانت هذه من العوامل التي أدت إلى نشأة الحركة في برقة؛ أما من الناحية الدينية فهي موضع اهتمام السنوسي، ولعل من أكثر العوامل التي جعلت السنوسي ينشر دعوته في برقة؛ هو أن برقة كانت تعاني من ضعف كبير في

(1) ينظر: أحمد الدجاني: الحركة السنوسية: نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 119- 124، وينظر: ميلود ميسوم: محمد بن علي السنوسي: منابع علمه، ومنهج طريقته، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ع: 20، 2018م، 141.

الجانب الديني؛ فقد وصل الأمر بأهلها إلى انتهاك حرمة أركان الإسلام، وتمثل ذلك في عدة مظاهر، منها:

-كانت قبائل برقة ترى عدم ضرورة صيام رمضان، إذ يكلف ثلاثين شابا قويا، فيصومون يوما واحدا، ويرون بذلك قد أدوا واجب الصيام على المسنين والعجزة.

- كثرة الدجالين الذين يدعون لأنفسهم الولاية، فتبعهم عوام الناس فضلوا.

- اتخذت بعض القبائل مواقع برقة؛ لتأدية فريضة الحج بدلا من الحج إلى بيت الله.

- انتشر الجهل بين أبناء القبائل، فكان لا يوجد أحد منهم يعرف القراءة والكتابة.

- غياب كثير من شعائر الدين[1].

هذا وقد ظل السنوسي خمس سنوات في برقة ينشر دعوته، وبعدما أسس دعوته في برقة والتف حوله الناس، واتبعوا دعوته انتقل إلى الحجاز لنشر دعوته، فمكث فيها حوالي ثماني سنوات، ينشر دعوته بإنشاء الزوايا التي كانت مركزا لنشر دعوته أينما اتجه، ثم قرر الرجوع إلى برقة، بعد أن ألح عليه أهل برقة بالرجوع، يذكر أنه طيلة المدة التي كان فيها في الحجاز لم ينقطع عن الاتصال بمريديه ومن كلفهم بإكمال مسيرته، وحين عاد إلى برقة أشرف على متابعة نشاط حركته، ثم عزم على الخروج إلى الجغبوب، وقد رجح المؤرخون عدة أساب لاختياره الجغبوب مقرا آخر لنشر حركته، منها:

- كانت الجغبوب حينها تعاني من النزاعات الاجتماعية؛ وهو ما جعل السنوسي يفكر في الإصلاح بين قبائل الجغبوب.
- كانت بعيدة عن قبضة السلطات؛ وهذا ساعده على نشر حركته بشكل أسهل.
- كما كانت مقرا تمر من خلاله القوافل التي تربط بين الجزائر وطرابلس وتشاد وبرقة ومصر؛ ما يساعد على انتشار دعوته بين شتى الأقطار.
- كذلك كانت مركزا يلجأ إليه النازحون للهروب من الخلافات والنزاعات في المدن؛ فاحتضنتهم السنوسية، وكانت زواياها موطنا لهم[2].

(1) ينظر: محمد شكري: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق: 25-27، وينظر: علي الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا: محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس، مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة، ط/1، 2001م: 57 - 60.

(2) ينظر: علي الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، مرجع سابق: 70/1، 71.

المطلب الثاني: "البعد الدعوي للحركة السنوسية":

تميز السنوسي بشخصيته الدعوية منذ الصغر، وقد نتج عن ذلك نشأة حركته الدعوية المتميزة، ومع ذلك فإن السنوسي لم يضع مفاهيم صريحة لدعوته، وذلك لأن علم الدعوة من العلوم الحديثة، من حيث التأصيل والتأطير، لذا حاولت الاجتهاد بتتبع أقوال السنوسي، وكذلك أقوال الباحثين المتعلقة بالدعوة، ثم استنباط محاور الدعوة وما يتعلق بها عنده، على النحو التالي:

أولا: مفهوم الدعوة عند الإمام السنوسي: يتجلى مفهوم الدعوة عند السنوسي في الجمع بين التنظير والتطبيق: أما التنظير فيتمثل في جانب التبليغ، وأما التطبيق فيتمثل في جانب العمل، وذلك بنشر العلوم الشرعية أولا، ثم العمل بجل العلوم الشرعية[1] عامة، وبعلم التصوف خاصة، فهو يرى أن الاقتصار على التبليغ ونشر العلم في المجالس والحلقات فقط لا يكفي، وإنما لا بد من العمل وتوظيف العلوم الشرعية، لإصلاح المجتمعات الإسلامية بالقضاء على مظاهر البدع والفساد والفتنة فيها، وكذلك دعوة غير المسلمين للإسلام، يقول فؤاد شكري: "كان يميل إلى الانزواء والانفراد، يمضي وقته في التفكير فيما يرى حوله من أحوال الإسلام، وكان وهو في هذه السن شديد الشعور بضرورة العمل من أجل إحياء الملة الإسلامية، وتوحيد الصفوف في العالم الإسلامي، للنهوض بالدين الحنيف نهضة صحيحة"[2].

ثم ذكر موقفا له، بقوله : "إنه حدث ذات مرة أن وجده بعض الشيوخ جالسا فوق كثيب من الرمال، تبدو عليه دلائل التفكير العميق، فلما استوضحوه السبب في ذلك، كان جوابه: "إنه إنما يفكر في حال العالم الإسلامي، الذي لا يعدو عن كونه قطيعا من الغنم لا راعي له، على الرغم من وجود سلاطينه وأمرائه ومشايخ طرقه وعلمائه، فمع أن هناك عددا كبيرا من المرشدين، وعلماء الدين الموجودين في كل مكان، فإن العالم الإسلامي لا يزال مفتقرا أشد الافتقار إلى مرشد حقيقي، يكون هدفه سوق العالم الإسلامي أجمع إلى غاية واحدة، ونحو غرض واحد، والسبب في ذلك هو انعدام الغيرة على الدين لدى العلماء والشيوخ، وانصرافهم إلى الخلافات القائمة بينهم، قد فرقهم شيعا، وجماعات، فأصبحوا

(1) ينظر: أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1995م، 14.

(2) محمد شكري: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق: 12.

لا يُعْنون بنشر العلم والمعرفة، ولا يعملون بأوامر الدين الحنيف، وهو دين توحيد أساسه الاتحاد، وجمع الكلمة، زد على هذا أن على هؤلاء العلماء، والشيوخ واجبا عظيما في حق الملة الإسلامية؛ إذ إن الشعوب المجاورة في السودان، والصحراء من أفريقيا الغربية لا تزال تعبد الأوثان، ومع هذا بدلا من وعظ هذه الشعوب الوثنية، وإرشادهم إلى الدين القويم ما زالوا يفضلون القبوع في كل مساجد المعمورة غير عاملين بعلمهم"(1).

ثم إن رسائله الدعوية التي كان يرسلها لمشايخ الزوايا تبين حرصه على الجمع بين التبليغ والتطبيق؛ منها قوله: "والوصية لكم بالوقوف في باب الله بالجد والاجتهاد، ودلالة الخلق إلى سبيل الرشاد بالقول، والعمل"(2)، وعند الحديث عن مفهوم الدعوة عنده لا يمكن أن نغفل عن أن دعوته قامت على الجمع بين الشريعة والحقيقة، - أي: علم الظاهر والباطن- ، فحرص على إحياء علم التصوف السني، وتطبيقه بتربية النفوس، وعلاجها من المهلكات كالغيبة، والنميمة، هذا ما نلتمسه في كثير من رسائله، ومنها: "فإنا ندعوكم بدعاية الإسلام من طاعة الله ورسوله، قال تعالى: في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(3)، والطاعة هي امتثال أمر الله ورسوله من إقامة الصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وأداء زكاة الأموال، وحج بيت الله الحرام، واجتناب ما نهى من الكذب، والغيبة، والنميمة، وأكل أموال الناس بالباطل، وشرب الخمر، وقتل النفس بغير حق، وشهادة الزور، وغير ذلك مما حرم الله، ورسوله..."(4).

ثانيا: أصول الدعوة عند الإمام السنوسي:

- **القرآن الكريم والسنة النبوية:** إن السنوسي كغيره من علماء التصوف السني اعتمد على القرآن الكريم والسنة الشريفة في بناء منهجه الدعوي؛ فذكر أقوالا كثيرة لعلماء التصوف تبين ذلك؛ منها: قول الجنيد: "الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول -صلى

(1) محمد شكري: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق: 12.
(2) أحمد الدجاني: الحركة السنوسية ونشأتها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 158.
(3) النساء، من الآية: 59.
(4) أحمد الدجاني: الحركة السنوسية ونشأتها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 158.

الله عليه وسلم-"[1]، ونقل أيضا قول التستري: "بنيت أصولنا على ستة أشياء: كتاب الله، ورسوله، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، أداء الحقوق"[2].

شدد السنوسي على ضرورة الاقتداء، والتمسك بالكتاب والسنة، وألف كتابا سماه: "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن"، بين فيه رأيه في ضرورة الرجوع إليهما، تحدث في الباب الأول عن وجوب التمسك بالكتاب والسنة، وبين أن دلالة الكتاب والسنة واحدة، وذكر أدلة وجوب اتباعهما، كذلك بين في هذا الباب العلاقة بين الكتاب والسنة[3].

كما أن رسائله التي كان يرسلها لشتى الأقطار خير دليل على اعتماده على القرآن والسنة في الدعوة إلى الله، من ذلك إحدى الرسائل التي أرسلها إلى أهل وجنقة بتشاد، فبعد البسملة والسلام والسؤال عن أحوالهم، قال: "فالقصد المطلوب، والأمر المرغوب هو السؤال عنكم، وعن كلية أحوالكم، جعلها الله جارية على منهاج كتابه، وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم.

وثانيا: فإنا ندعوكم بدعاية الإسلام من طاعة الله – تعالى -، ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[6][7].

- **أقوال السلف:** إن الباحث في مؤلفات الإمام يتبين له أنه اعتمد في بناء منهجه الدعوي على علماء السلف، بعد أخذه من علمهم على مشايخه، فيستشهد بكلامهم تارة، ويتبع أفعالهم تارة أخرى، بخاصة علماء التصوف، فقد تأثر بهم تأثرا كبيرا، ولزم مسلكهم، فاهتم بدراسة كتبهم والتبحر في طرقهم، واهتدى بنهجهم، حتى أسس طريقة

(1) الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 4، 1405ه، 257/10، ومحمد السنوسي: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1914م، د ط، 7، 108.

(2) الأصبهاني: حلية الأولياء، مرجع سابق: 10/ 190، ومحمد السنوسي: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، مرجع سابق: 108.

(3) ينظر: محمد السنوسي: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، مرجع سابق: 31.

(4) محمد، الآية: 33.

(5) النساء، الآية: 80.

(6) النساء، الآية: 69.

(7) أحمد الدجاني: الحركة السنوسية ونشأتها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، 158.

له في العبادة والذكر، متبعا منهجهم، وهي الطريقة السنوسية، فتبعه من سار على منهجه؛ يقول في مقدمة كتاب: "المنهل الروي الرائق" عن علماء التصوف داعيا اقتفاء أثرهم: "ولكنهم لعظيم فضلهم، ولعلو مكانتهم، وجزالة قدرهم، وشغوف استكانتهم، لا يستطاع ردهم، ولا يخيب قصدهم، فكان كالمسوغ لذلك الخطب الهائل لعاري الأهلية ذي الجيل العاطل تمثلا بما قيل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام رباح"(1)

وقد سماهم أهل الله في كتابه الإيقاظ، وبين طريقهم في الوصول إلى الله، فقسمهم إلى ثلاثة أقسام: على حسب مراتب اليقين(2)؛ كما نقل كثيرا من أقوالهم، التي هي خلاصة تجاربهم في كتبه؛ منها قول أبي العباس ابن عطاء الله: "من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب -صلى الله عليه وسلم- في أفعاله، وأمره، وأقواله، وأخلاقه"(3)، وكذلك دافع عنهم في بعض المسائل التي اشتهر بها أهل التصوف كحكم تلبيس الخرقة، وتلقين الذكر(4)، ومسائل أخرى كثيرة يطول ذكرها في هذا المقام.

- **العقل:** إن السنوسي من أكثر العلماء الذين اهتموا بتوظيف ملكة العقل، تلك اللطيفة المدركة للعلوم، المسؤولة عن الفهم والإدراك(5)؛ فلولا العقل لما استطعنا تحقيق اليقين والإيمان، فهو مناط الفهم والتدبر والتفكر، فالإمام مع تمسكه بالاقتداء بالسلف ومنهجهم، إلا أنه نادى بالاجتهاد وتحرير العقول من التقليد المطلق؛ لذا نجده قد خالف مذهبه (المالكي) في كثير من المسائل، منها: حكم القنوت، وحكم تطويل الصلاة...(6)؛ وقد أقام الحجة النقلية، والعقلية في المسائل، التي خالف فيها المذهب، وقد أسهب في ذلك في كتابه: "المسائل العشر". أما المسائل التي خالف فيها المذهب فقد جمعها في كتابه: "بغية المقاصد في خلاصة المراصد"(7)، وبين في كتابه: "إيقاظ الوسنان" مفهوم الاجتهاد،

---

(1) محمد السنوسي: المنهل الراوي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، دار التوفيقية، المسيلة، ط:1، 2011م،6.

(2) ينظر: محمد السنوسي: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، مرجع سابق: 105.

(3) الأصبهاني: حلية الأولياء، مرجع سابق: 302/10، ومحمد السنوسي: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، مرجع سابق: 105.

(4) ينظر: محمد السنوسي: المنهل الراوي في أسانيد العلوم وأصول الطرق، مرجع سابق: 154-157.

(5) ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المنهاج، جدة، ط: 1، 2011م، 15/5.

(6) ينظر: أحمد الدجاني: الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 151.

(7) ينظر: محمد السنوسي: شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي، ت: محمد الجزائري، دار الإمام مالك، الجزائر، ط: 1، 2001م، 41، 90؛ وينظر: يوسف أبو عليقة، وعبد الرحمن بن محمود: التجديد في فكر الإمام محمد بن علي

وأنواعه، وشروطه؛ بحيث لابد في الاجتهاد أن لا يخالف الكتاب والسنة، بعيدا عن الاجتهاد بالرأي والهوى[1]؛ يقول في ذلك: "فإن القول بالرأي الغير المبني على أصل حرام بل من أكبر الكبائر"[2].

ثالثا: وسائل الدعوة وأساليبها عند الإمام السنوسي:

- **وسائل الدعوة:** تنقسم وسائل الدعوة إلى قسمين: وسائل معنوية؛ كالعلوم الشرعية، وغيرها؛ وأخرى مادية؛ كالمساجد، والمدارس، والكتب، والرسائل قديما؛ والراديو، والتلفاز[3]، وشبكة الانترنت حديثا؛ أما العلوم الشرعية فهي إحدى الوسائل التي لا يمكن للداعية أن ينشر دعوته إلا من خلالها، فإذا لم يؤسس الداعية نفسه علميا بالنبوغ في العلوم الشرعية لا يستطيع تحقيق الأهداف المناسبة لدعوته، من هنا جاء اهتمام الدعاة بالإعداد العلمي؛ ومنهم الداعية الإمام السنوسي، فقد أعد نفسه بالتبحر في شتى العلوم؛ لتكون دعوته على بينة وبصيرة اتباعا؛ لقوله تعالى؛: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]، وقد يغلب على الداعية استعمال علم معين من العلوم الشرعية في الدعوة، كما فعل السنوسي باعتماده على علم التصوف في جميع مجالات دعوته حتى في فتاويه، فإذا ما أفتى في مسألةٍ ما كثيرا ما جمع بين الحقيقة والشريعة، فيضيف لفتاويه جانبا صوفيا؛ كي يضيف لها بعدا روحيا، يترك أثرا في نفوس المخاطبين؛ يقول بعد ذكر الأحكام الظاهرة للصلاة: "فاعلم أن هذه الصلاة المذكورة كما تشمل الأقوال، والأفعال القالبية السابق وصفها، كذلك تشمل الأفعال، والأحوال القلبية الآتي ذكرها من الخشوع، والسكينة، والخضوع، والوقار..."[5]، وقد بين أن السبيل لمعرفة الله، والوصول إليه هو التصوف[6]؛ وكذلك من الوسائل التي استخدمها في الدعوة: الطريقة؛ وهي طريقة يمتاز بها أهل التصوف عن غيرهم في الذكر والعبادة،

السنوسي، جامعة الجبل الغربي، كلية العلوم مزدة، المؤتمر السنوي بمركز البحوث، جامعة ملايا- ماليزيا، 2014م، 17، 18.

(1) ينظر: محمد السنوسي: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، مرجع سابق: 49 - 63.

(2) المرجع نفسه: 61.

(3) ينظر: أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة، مرجع سابق: 301، 309.

(4) يوسف، الآية: 108.

(5) محمد السنوسي: بغية المقاصد في خلاصة المراصد، ت: أحمد الطنطاوي، هدية العارفين، د ت، ت ط، 58، 59.

(6) ينظر: محمد السنوسي: بغية المقاصد في خلاصة المراصد، مرجع سابق: 118.

وفي معالجة النفوس، هذا فيما يتعلق بالوسائل المعنوية[1].

أما ما يتعلق بالوسائل المادية فهو أيضا اتبع طريق أهل التصوف باستخدامه الزوايا في نشر دعوته في شتى البقاع[2]، وسنتحدث عنها بشيء من التفصيل في المطلب القادم.

وتأسيسا على ما تقدم نستنتج أن الإمام اعتمد اعتمادا كبيرا على التصوف في نشر دعوته، بل إن دعوته قامت على التصوف كما سنبين لاحقا، وكذلك من الوسائل المادية التي استعملها في نشر دعوته هي: الرسائل، التي كان يرسلها لتلاميذه ومشايخ الزوايا وغيرهم لنشر دعوته، وهي من الوسائل التي استخدمها الرسول – صلى الله عليه وسلم - في نشر الدعوة.

- **أساليب الدعوة:** إن الداعية الحكيم من يستطيع إتقان أساليب الدعوة المختلفة، ليحقق الأهداف المرجوة من الدعوة، وقد استخدم الأمام أساليبَ كثيرة مراعيا في ذلك حال المدعو، وطبيعة الموضوع الذي يدعو إليه، ومن أبرز الأساليب التي ميزت دعوته ما يلي:

أ. أسلوب الحكمة والرفق واللين: بالنظر إلى دعوة السنوسي يلاحظ أنه اعتمد على المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، فكثيرا ما يغلب على دعوته جانب اللين والنصح والرفق والحكمة، ولعل ذلك كان أحد أسباب نجاح دعوته وانتشارها، فأمعن في إحدى رسائله التي أرسلها إلى شيخ زاوية المدينة، يقول فيها: "وحسنوا أخلاقكم، ولينوا جانبكم للكبير والصغير، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]، ... وقال -صلى الله عليه وسلم-: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس"[5]، وعليكم بالمناصحة، والمذاكرة، وإرشاد عباد الله إليه، والمدارسة، والاجتماع، والتحابب، والتوادد فيما بينكم، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا وعلى البر أعوانا"[6].

ب. أسلوب ضرب الأمثال: يعد أسلوب ضرب الأمثال من الأساليب المستخدمة

(1) أحمد الدجاني: الحركة السنوسية ونشأتها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 143.
(2) ينظر: محمد شكري: السنوسية دين ودولة: 47، 48.
(3) البقرة، من الآية: 83.
(4) النحل، من الآية: 125.
(5) أخرجه الحاكم في المستدرك، (ك: الرقائق، 4/ 348، رقم الحديث: 7873).
(6) علي الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، مرجع سابق: 1/ 146.

في القرآن الكريم، وكذلك السنة الشريفة؛ لما له من تأثير في العواطف، وفي السلوك الإنسانية، وفي غرس القيم الإنسانية في نفوس المسلمين[1]؛ فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[2]، وقد تنبه السنوسي على أهمية هذا الأسلوب فاستخدمه كثيرا في دعوته، ومن ذلك حديثه عندما أراد بناء زاوية الجغبوب، فقال: "الطير له عقل أم لا، فقالوا: لا، فقال: هو لا يضع بيضه إلا فوق جبل شامخ، حتى لا يلحقه ذئب، ولا ثعلب، ولا غيرهما، وقال: اليربوع له عقل، فقالوا: لا، فقال: هو يجعل في جحره طرباقة، وهي النافقاء، فإذا دخل عليه الحنش خرج منها، وقال: "تلقونها أحسن المحلات إذا أتى الحنش الأسود عليها من هنا"، وأشار بإصبعه السبابة من المشرق إلى المغرب"[3]، بهذا المثال استطاع السنوسي أن يركز على بعض الحقائق؛ لترسيخها في النفوس، والتحذير من الخطر الداهم على بلادهم[4].

ج. الأسلوب القصصي: يعد الأسلوب القصصي من أقوى الأساليب الدعوية تأثيرا؛ لأن النفس البشرية مجبولة على محبة القصص، والميل إليها، وربطها بالواقع[5]؛ لذا استخدم السنوسي هذا الأسلوب في دعوته كثيرا، منها ما كان على سبيل الاستشهاد، كذكره قصة تلبيس الخرقة عند الصوفية بالرجوع بها إلى تأصيلها[6].

د. أسلوب الحوار والمناظرة: من أكثر الأشياء التي يجب على الدعاة التركيز عليها هو الاستفادة من الدعاة السابقين في التعامل مع المخالف، خاصة إذا كانت التيارات المخالفة تحاول تشويه طريق الإسلام الصحيح؛ لما في هذا الأمر من خطر على وحدة الامة وعقيدتها؛ لذا حاولتُ البحث جاهدة للاستفادة من منهج الإمام في التعامل مع المخالف؛ لأنه يعد مثالا للداعية الناجح؛ فقد شهدت كل المجتمعات التي قطنها وحدة وقوة بمجرد انتشار فكره ودعوته بها، وقد تبين لي أنه كان كثيرا ما يبتعد عن الجدل والمواجهة مع المخالف، فقد صرف جل جهده الفكري في دعوة غير المسلمين، وكذلك تصحيح وتجديد

(1) ينظر: عبد الحميد هنداوي: منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط/1، 2006م، 106.
(2) البقرة، من الآية: 17.
(3) أحمد الدجاني: الحركة السنوسية، مرجع سابق: 154.
(4) ينظر: المرجع نفسه: 153، 154.
(5) ينظر: عزيز العنزي: البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبوظبي، ط: 1، 2005، 138.
(6) ينظر: محمد السنوسي: المنهال الراوي في أسانيد العلوم وأصول الطرق، مرجع سابق: 154-157.

عقيدة عوام الناس من الباطل إلى الحق، كما فعل في برقة، فنجده عندما مرَّ بمصر وأقام بها قليلا، لم يمكث هناك طويلا؛ وذلك لاصطدام فكره مع فكر علماء مصر تلك المدة؛ بحيث غلب عليهم التقليد والجمود؛ فترك مصر ذاهبا إلى الحجاز، وكذلك الحال عندما كان في الحجاز[1]، فلم يرد شيء عن مناظراته معهم، مع الرغم من اختلافه عنهم.

كما يتضح هذا من خلال رسائله، فقد سئل مرة عن خلاف بعض العلماء في عصمة الأنبياء، قال: "إنكم تعلمون أن مادة الخصام ليس من دأبنا، وقد علمتم أن شأننا هو امتثال قوله -صلى الله عليه وسلم-: "من ترك الجدال وهو مبطل بنى الله له بيتا في الجنة،..."[2]، ثم قال: وأما الخوض والجدال في الأمور الاعتقادية، فهو الطامة الكبرى، والداهية الغرى"[3].

ومع ذلك فإن الإمام دعي ذات مرات للمناظرة فقبل، وكان قوي الحجة، راسخ القواعد[4].

المطلب الثالث: "دور التصوف في نجاح الحركة":

كان للتصوف دور كبير في نجاح السنوسية وانتشارها، وكان لبروز التصوف في شخصية الإمام عدة عوامل، وهي تعد من أهم أسباب نجاح دعوته، وانتشارها، وهذه العوامل هي:

أولا: نشأة الإمام في بيئة صوفية: نشأ الإمام في أسرة علم، وتربى في بيئة صوفية، تعلم التصوف منذ صغره على يد عمته، وكذلك تعلمه على يد السيد محمد السنوسي؛ فنشأته على علم التصوف أدت إلى انعكاسها على شخصيته، فأصبح يحب العزلة والخلوة، والتدبر في ملكوت الله، وكان يؤثر حب الله، ويراقبه، ولا يأنس بأحد غير الله، ويقضي وقته مستغرقا في الذكر والعبادة، فعاش الإمام التصوف، وتأثر به الأمر الذي جعله يبحث عن شيوخ التصوف أينما حلوا؛ ليتعمق في هذا العلم، فعندما رحل إلى فأس أخذ عن جمع كبير من علماء التصوف؛ منهم: العربي بن أحمد الدرقاوي من شيوخ الطريقة الشاذلية، وابن ناصر، والعرائشي، والتيجاني وغيرهم....، وعرف باهتمامه بالطرق الصوفية

(1) ينظر: أحمد الدجاني: الحركة السنوسية: نشأتها، ونموها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 74.
(2) أخرجه الترمذي في سننه: (ك: البر والصلة، ب: ما جاء في المراء، 358/4، الحديث: 1993).
(3) يوسف أبو عليقة، وعبد الرحمن بن محمود: التجديد في فكر الإمام محمد بن علي السنوسي، مرجع سابق: 15.
(4) ينظر: علي الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، مرجع سابق: 180/1.

ودراستها[1]، وألف كتابه المعروف في الطرق: المنهال الراوي في أسانيد العلوم وأصول الطرق.

إن اهتمام السنوسي بعلم التصوف جعله يحب الاستقرار في البيئة الصوفية؛ لذلك نجده لم يبق طويلا بمصر؛ لعدم اهتمام علماء مصر بالتصوف آنذاك، أما عندما رحل إلى الحجاز فلازم الإمام أحمد بن إدريس الصوفي، وفي تلك المدة تشبعت شخصيته بعلم التصوف، فانعكس ذلك على دعوته ومؤلفاته[2]، بحيث جمع بين الحقيقة والشريعة.

ثانيا: اهتمام الإمام السنوسي بالدفاع عن التصوف والرد على أدعياءه: ذكرنا سابقا أن الأمام من العلماء الذين يكرهون الجدل والمناظرات، لكن اهتمامه بعلم التصوف جعله يسعى في الرد على دخلائه وتنقيحه من الشوائب دون غيره من العلوم؛ لأنه يعلم أن استعادة التصوف السني هو المنهج الذي يخجي الأمة من الفتن، والشهوات التي تؤدي إلى الهلاك.

تتلمذ السنوسي على يد كوكبة من علماء الطرق الصوفية، وكان مهتما بالطرق الصوفية خلال أسفاره؛ فكان خبيرا بهذه الطرق، وكان حريصا على انتقاد انحرافات بعض الطرق منها: الطريقة الصديقية[3]، حيث قال: "دخل الغلط في الأخلاق على جماعة من هذه الطائفة؛ وذلك لقلة معرفتهم بالأحوال، واتباعهم حظوظ النفس، ولكنهم لم يتأدبوا بمن يروضهم، ويخرجهم من الرعونات..."[4].

أما فيما يخص انتقاده لدخلاء التصوف؛ فله عبارات كثيرة، منها: "ومنها ما كثر به تبجح كثير من بعض المتنكسين من دخلاء المتصوفة، وغلاة المتورعين من الإعجاب بأعمالهم، والتمدح بأحوالهم، وكونهم مخصوصين بينابيع الإمداد..."[5].

وقد انعكس هذا الاهتمام على منهجه الصوفي، بحيث كان منهجا صوفيا نقيا، مأخوذا عن منهج علماء السلف، خاليا من تشوهات أدعياء التصوف وأعدائه، فساعد هذا في نجاح دعوته.

(1) ينظر: محمد شكري: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق: 11، 14، 20.
(2) ينظر: المرجع نفسه: 16، 20.
(3) أحمد الدجاني: الحركة السنوسية: نشأتها، ونموها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 143.
(4) المرجع نفسه.
(5) محمد السنوسي: بغية المقاصد في خلاصة المراصد، مرجع سابق: 6.

ثالثا: الزوايا الصوفية، ودورها في نجاح الحركة:

- **تعريف الزاوية:** تعددت تعريفات الزاوية من قبل الباحثين والمؤرخين، لكنها تتفق في المعنى مع اختلاف ألفاظها، منها ما يلي: هي مؤسسة يقوم بتأسيسها شخص ذو شأن روحي، وشخصية دينية معروفة بالفضيلة - بمبادرة منه - مشهور بالتقوى، والصلاح، والعبادة، يتولى مهمة الوعظ والإرشاد لمن يتردد عليه من أتباع، ومريدين، وقد يضاف إلى ذلك ضريح مؤسسها، الذي تسمى باسمه غالبا؛ فالزاوية ذات تأسيس صوفي، تُفتح بناء على أمرٍ من شيخ الطريقة لتلاميذه؛ ليقوم بها التلاميذ والمريدين بعدة وظائف، كالعبادة والتعليم[1].

أما في ما يخص الزوايا السنوسية فهي تختلف عن غيرها من حيث مواقعها وبناؤها، ومن حيث تنظيمها، ورسالتها، وكانت تبنى في الدواخل؛ وذلك لحرص الإمام على الابتعاد عن نفوذ السلطة[2].

- **وظائف الزوايا السنوسية في ليبيا:** استطاعت الحركة السنوسية التغلغل في المجتمع الليبي والتأثير به في جميع جوانبه، وذلك من خلال الزوايا؛ فالزوايا تعد ركيزة نظام الحركة السنوسية، وهي التطبيق العملي لأفكار السنوسي التي دعا إليها، حيث حققت مجموعة من الأهداف الدعوية المختلفة، بحيث لم تقتصر على العبادة فقط؛ يقول السنوسي: "رتبنا لكل واحدة خليفة يقوم فيها بما ذكر من الجمعة، وتعليم القرآن، ودرس العلم، ودلالة الخلق على دينهم، وعودتهم إلى ربهم، وبذلك تبتهج الأرض حولها بأنواع الشجر، ويكثر بها السكان؛ لكثرة الثمار، وتنتشر العمارة، وتتسع الإدارة"[3]؛ فللزوايا أهداف كثيرة أبرزها:

الأول: استطاع الإمام السنوسي من خلال الزوايا نشر العقيدة السليمة، المتمثلة في توحيد الله والقضاء على مظاهر الشرك والبدع، فقد اشتهر مجتمع برقة قبل مجيئه بالضلال والجهل، فجمعهم على وحدة كلمة التوحيد، واتباع منهج القرآن الكريم، والسنة الشريفة، كما أن دعوته إلى تصحيح العقيدة تخطت حدود المسلمين، فأدخل كثيرا من العجم

(1) ينظر: العماري الطيب: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي: دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، ع: 15، جوان/ 2014م: 128، 129.

(2) ينظر: محمد شكري: السنوسية دين ودولة، مرجع سابق: 48، وينظر: علي الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، مرجع سابق: 96.

(3) أحمد الدجاني: الحركة السنوسية: نشأتها، ونموها في القرن التاسع عشر، مرجع سابق: 237.

والعرب في الإسلام.

الثاني: الدعوة إلى الإصلاح التربوي؛ وذلك من خلال ترويض النفوس على الفضائل، ونبذ الرذائل.

الثالث: الاهتمام بعلم التصوف خاصة، وتنقيته من الأفكار الخاطئة التي دخلت عليه من خلال أدعياء التصوف.

الرابع: كما لها دور تعليمي؛ فهي تمثل مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وأصول الدين، والتصوف، والفقه، وعلوم اللغة العربية، وغيرها من العلوم الشرعية، كما تحتوي الزوايا على مكتبات كبيرة مختلفة تجمع شتى العلوم.

الخامس: كذلك لها دور اجتماعي كبير؛ وذلك من خلال ما ضمنته للقبائل من أمن وطمأنينة، ومصالحة بينها، وتشجيعها على الاستقرار، فبحكم استقرار هذه الزوايا اضطرت كل قبيلة أن تحافظ على صلتها الدائمة بزاويتها الخاصة بها، وعدم البعد عنها، فبمرور الزمن تعودت القبيلة على حياة الاستقرار، والإقامة بعد أن كانت لا تعرف لذلك طريقا، كما كان لهذه الزوايا دور في فض النزاعات، والمشاكل.

السادس: كذلك لها دور اقتصادي؛ وذلك من خلال تطوير الحركة الزراعية والتجارية؛ فعمرت الطرق بالقوافل المحملة بالسلع، وكانت تقوم بتقديم مساعدات، وتسهيلات لإراحة المسافرين التجار؛ مما شجع على التبادل التجاري.

السابع: كما لها دور معماري؛ وذلك من خلال تدريب تلاميذها على إتقان الحرف، والصناعات: كصناعة البارود والأسلحة، وكذلك من خلال عملية البناء والإعمار، التي يقوم بها تلاميذ الزوايا بأمر من شيوخهم في مختلف مواقع الزوايا.

الثامن: كما تميزت بدورها الجهادي؛ وذلك من خلال دعم الحركة الجهادية ضد الغزو الفرنسي، وقد توارث السنوسيون المنهج الجهادي للحركة، فاستطاعوا طرد الغزو الإيطالي من ليبيا(1).

(1) ينظر: محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، د. ط، 64- 67، وينظر: علي الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا، مرجع سابق: 1/ 102، 103.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد البحث والدراسة في المنهج الدعوي لمؤسس الحركة السنوسية، توصلت إلى ما يلي:

أولا: النتائج:

- يتجلى مفهوم الدعوة عند الإمام السنوسي في الجمع بين التنظير والتطبيق.
- اعتمد الإمام في أصوله الدعوية على: القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأقوال السلف، والعقل.
- ابتعد عن أسلوب الجدل والمناظرات، وركز اهتمامه على القضايا التي تجمع الأمة وتلم شملها.
- استخدم وسائل دعوية معنوية، وأخرى مادية، أما المعنوية فتتمثل في نشر العلوم الشرعية، بخاصة علم التصوف، وأما المادية، فتتمثل في إنشاء الزوايا لنشر دعوته، وكذلك الرسائل الدعوية التي كان يرسلها لشتى الأقطار.
- استخدم أساليبا دعوية مختلفة، تختلف باختلاف حال المدعو والموضوع الذي يدعو إليه، كالقصة، وضرب الأمثال، وقد تميزت دعوته بالرفق واللين والحكمة.
- من أبرز أسباب نجاح دعوته: علم التصوف، لذلك دافع عنه في مواطن مختلفة.
- حققت الزوايا السنوسية أهدافا كثيرة منها: العقدية، والأخلاقية، والاقتصادية، والاجتماعية، والجهادية.

ثانيا: التوصيات: تتمثل في الآتي:

- الإفادة من منهج الإمام في الدعوة والإرشاد.
- توظيف علم التصوف في الدعوة إلى الله، لكونه سببا من أسباب نجاح الحركة السنوسية.
- الاهتمام بمؤلفات الإمام بالبحث والدراسة والتحقيق.
- إقامة الندوات والمؤتمرات، التي تعنى بدراسة شخصية الإمام، ومنهجه في الدعوة والإصلاح خاصة في ما يتعلق بالجانب الاجتماعي، الذي نعاني من فساده اليوم.

وفي الختام أسأل الله -تعالى- التوفيق والسداد، وأعوذ به من الغفلة والخطأ، وأسأله أن يجمع شمل الأمة على كلمة التوحيد، وعلى منهج الإحسان، وأن يرزقنا من ذريتنا من يحمل همَّ الدعوة الإسلامية كالإمام السنوسي -رحمة الله عليه-.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1995م.
2. أبو داود السجستاني: سنن أبي داود، ت: محمد عبد الحميد، دار الفكر، د. ط، د ت.
3. أحمد الدجاني: الحركة السنوسية: نشأتها، ونموها في القرن التاسع عشر، دار لبنان-بيروت، ط: 1، 1967م.
4. إسماعيل ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1997م.
5. الأصبهاني: حلية الأولياء، دار الكتّاب العربي، بيروت، ط: 4، 1405هـ.
6. دلا رداوي: الحركة السنوسية ودورها في محاربة الاحتلال الإيطالي في ليبيا: 1911م - 1932م، رسالة ماجستير في تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة محمد بو مضياف، الجزائر: 2016م.
7. رابحة خضير، دخول طرابلس الغرب تحت الحكم العثماني: 1555م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المؤتمر السنوي الأول لكلية التربية الأساسية، م: 6، ع: 2، 2007م، كلية الآداب، جامعة الموصل.
8. شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير، في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د ط، د ت.
9. عبد الحميد هنداوي، منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط/1، 2006م.
10. عبد الرحمن الدرسي: الانتفاضات الوطنية ضد الوجود العثماني في ليبيا، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة قاريونس، د ت.
11. عزيز العنزي: البصيرة في الدعوة إلى الله، دار الإمام مالك، أبوظبي، ط/1: 2005م.
12. علي الصلابي: الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس، مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة، ط/1، 2001م.
13. العماري الطيب: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، الجزائر، ع: 15، جوان/2014م.
14. الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المنهاج، جدة، ط/1، 2011م.
15. محمد الترمذي: سنن الترمذي، تح: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت، د ط، د ت.

16. محمد السنوسي: المنهل الراوي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، دار التوفيقية، المسيلة، ط/1، 2011م.
17. محمد السنوسي: إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1914م، د ط.
18. محمد السنوسي: بغية المقاصد في خلاصة المراصد، ت: أحمد الطنطاوي، هدية العارفين، د ت، ت ط.
19. محمد السنوسي: شفاء الصدر بأري المسائل العشر من درر الفقه المالكي، ت: محمد الجزائري، دار الإمام مالك، الجزائر، ط/1، 2001م.
20. محمد شكري: السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، د ط، 1948م.
21. محمد النيسابوري (الحاكم): المستدرك على الصحيحين، ت: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1990م
22. محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، د ط.
23. ميلود ميسوم: محمد بن علي السنوسي منابع علمه ومنهج طريقته، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ع: 20، 2018م.
24. يوسف أبو عليقة، وعبد الرحمن بن محمود: التجديد في فكر الإمام محمد بن علي محمد السنوسي، جامعة الجبل الغربي، كلية العلوم مزدة، المؤتمر السنوي بمركز البحوث، جامعة ملايا، ماليزيا: 2014م.